لا زلتَ تسمو على الأقران مرتديًا ثوب الفضائل في امنٍ من الخطرِ
ودم لنا ركن مجدٍ ما وشى قلمٌ رياضُ طرسٍ بحسنِ النعت كالزَّهرِ
ما صاح بالروض قريٌ وما سجعت حمائمُ الدوح في الآصال والبكرِ

وبقي المعلّم لياس في حلب بضع سنوات. ولهُ ابيات قالها في وصف بعض قصورها في بستان خلاص في خارج البلدة وتاريخها سنة ١٢٠٦ هجريّة (١٧٩٠م):

قصرٌ بدا روض الحبور اخاهُ نسبًا ومعمور السرور اباهُ
زرناهُ نجلي للصدا او نجتدي انسَ التهاني من رحابِ فناهُ
ولذاك لمَّا ان شكى قلبي الضنا ارَّختُ « ايوانُ الخلاصِ شفاهُ »

وقال ايضًا في حلب لمَّا سمع بقتل ديتري سَفر وكان رجلًا ظالمًا اضطهد الكاثوليكيين في بلاد الشام وسعى باستصفاء اموالهم وقتل رجالهم:

يا صاح إعلم ما جرى بهلاكِ ديتري سَفرْ
قد كان هذا المفتري ما دأبهُ الّا الضرَرْ
ينصب حبل خداعهِ ابدًا ليوقع للبشرْ
بمهالكٍ وخسائرٍ ومظالمٍ لا تنحصرْ
ما زال يسلك بالظلا مِ المدلهمّ على خطرْ
حتّى المهيمن قد اجا دَ بشنقهِ وبذا امرْ
وقضى بتاريخٍ لهُ يذهب الى وادي صقَرْ

(ستأتي البقيّة)

كتاب
تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ذكر اخيهِ الامير عزّ الدين جواد ابن علم الدين سليمان

هو ثاني ولد علم الدين. كان حسن الشكل ذا ذكاء ومعرفة لم ينشأ في وقتهِ احدٌ مثلهُ في جمعهِ للصنائع وكتابتهِ المنسوبة. وقد رأينا من ذلك اشياء حسنة مُتقنة تدلُّ على فضلهِ كتب على الشيخ بهاء الدين محمود بن محمّد خطيب بعلبك شيخ البلاد

الشاميّة بكتابة المنسوب الفائق فاتبع طريقتهُ وجاراهُ في قلم الطومار (١ حتى انهُ لا يكاد يُعرَف من طومار شيخهِ. ولهُ اختراعات لم يسبقهُ اليها غيرهُ (٢ منها انهُ كتب آية الكرسي (٣ على حبّة أرزّ وشاهدتُها عياناً. ورأيتُ في آخر الآية: « كتبهُ جواد ». والكاف مجلّس والكتابة واضحة قراءتُها ولم يَنلق منها عليَّ شيء.

واخبرني غير واحدٍ منهم مَن لحق ايام جواد قال: انَّ جندياً بدمشق حدّث في مجلس حافل بالاكابر انَّ جواداً يكتب آية الكرسي على حبّة ارزّ فلم يصدقوهُ فركب من دمشق في اوان مطر وثلج الى رمطون في طلب حبّة أرزّ عليها آية الكرسيّ. فوجد عزّ الدين غائباً عن رمطون في مزرعة إدمث من الشوف يشارف زراعتهُ بها. فتوجّه الجندي اليهِ ولم تكن عندهُ بادمث آلة كتابتهِ فارسل احضر آلة الكتابة من رمطون وكان قد اتاهُ ارزٌ من الحولة موافقٌ للكتابة فكتب في ذلك اليوم على عدّة حبوبٍ آية الكرسي. (قال الجنديّ): وقال عزُّ الدين جواد: لم توافقني كتابة على ارزّ احسن من ذلك اليوم (89ظ) بوكان ذلك من بخت الجندي

ومن اختراعاتهِ على ما قيل انهُ كتب مصحفاً حمائليّاً لطيف القدّ ما سبقهُ اليهِ احدٌ في الخفّة واللطف حتى قالوا عنهُ انهُ كان يستوي حرزاً في الكلوتة وقدّمهُ لنائب الشام تُنكز. ومنها انهُ عمل لتنكز نَدب نشّابٍ ميداني من نوى الخرنوب فوقف عليهِ ارباب الخبرة ولم يعرفوا خشبهُ حتى عرّفهم بهِ. وعمل فضّة لجام وقدّمهُ لتنكز ايضاً واستحسن الغلمان في شدّهِ وقلعهِ فلم يعرفوا ذلك حتى بيّن لهم طريقتهُ. ولهُ اشياء كثيرة

ورأيتُ من عملهِ قواعد فولاذ نقش عليها ما يُطبع عليهِ فضّة سيوف ولُجم وحلي

---

١) الطومار الصحيفة ويراد بها هنا نوع من الكتابة ٢) كلُّ ما ورد هنا عن حذق عزّ الدين رواهُ عنهُ ابن سباط بحرفهِ في تاريخهِ وصدر روايتهُ بقولهِ: « ذكر لي صالح بن يحيى انهُ شاهد ذلك عياناً وقال لي . . . » وهذا دليل واضح على انَّ مؤلف تاريخ بيروت كان في اواخر القرن التاسع للهجرة والخامس عشر للمسيح (راجع المشرق ١ : ٨٦٥)

٣) آية الكرسي وردت في سورة البقرة هذا حرفُها: الله لا اله الّا هو الحيُّ القيُّوم لا تأخذهُ سنة ولا نوم لهُ ما في السماوات وما في الارض من ذا الذي يشفع عندهُ الّا باذنهِ يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمهِ الّا بما شاء وَسِعَ كرسيُّهُ السماوات والارض لا يؤدُهُ حفظهما وهو العليُّ العظيم

للنساء وما غير ذلك ليجري عليها مينا ويتوفر على الصانع تعب في النقش . وكذا فعل ببرام بقوالبه اراح الصاغة من التعب ولكن هذه قوالب رمل يُقلب عليها في الرمل القواعد المذكورة يُطبع عليها طبع

ومع هذا كان عند عزّ الدين قوّة ونشاط وعقل . رأيتُ نُخلَ حديدٍ ثقيل لقلب الحجارة الكبار ذكروا عنهُ انّهُ كان يقيس من طرفهِ الرقيق شبرًا ويقبض عليهِ فيرفعهُ الى فوق رأسهِ ويُنزلهُ بسكون وهدوء من غير ركز . وقد قصد جماعة من المنسوبين ان يفعلوا بالنُخل المذكور ما فعلهُ عزّ الدين جواد فما قدروا

وكان يرمي عن قوس قوّيّة قيل انّ قوسهُ كانت فوق القنطار الدمشقي فلمّا توفّي اخذ قوسهُ تقي الدين ابراهيم ابن ناصر الدين الحسين . ثمّ بعدهُ باعها ناصر الدين(٨٥) ابن تقي الدين لرجل يسمّى الفتريس من قرية البرج ورأيتُ القوس المذكورة عندهُ وهي قوسٌ قوّيّة زائدة في الكبر عن قسيّ الناس . ثمّ اخذها تُنكز بغا نائب بعلبك من المذكور

وكان عزّ الدين تنكز قد تقرّب الى خاطر تُنكز نائب الشام قيل انّهُ اعطاهُ من حلق دمشق خير حلقة

ورأيتُ لعزّ الدين جواد منشورًا من الملك الناصر محمّد بن قلاوون عن حسين ابن ابراهيم الاربليّ بحكم الوفاة جهاتهُ : سُدس خاوجة بلبيس الغرب من الرملة وسدس بتعان من الرملة ايضًا وسدس عين الدلب من صيداء تاريخهُ مُستهلّ جمادى الاولى سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٢ م) وهذا المنشور يأمر بتجديد جواد في الخدمة وهذا قبل اخذهِ لاقطاع ابيهِ وربّما كان هذا الاقطاع الذي اعطاهُ تنكز . وكان كاتب سرّ تُنكز يحبّ عزّ الدين جواد ويظهر لهُ الصحبة

وسمعتُ انّهُ لمّا توفّي علم الدين سليمان اراد ناصر الدين الحسين ان يجعل اقطاعهُ لسيف الدين غلّاب دون اخيهِ عزّ الدين جواد فلم يفعل غلّاب فقال ناصر الدين : نجعلهُ مناصفةً . فلم يفعل غلّاب ولم يأخذ منهُ شيئًا بل تركهُ جميعهُ لجواد مع انّ غلّابًا كان اكبر من جواد ويتقدّم عليهِ . فاخذ جواد اقطاع ابيهِ بعدهُ خمسة اجناد وجهاتهُ المذكورة في منشور ابيهِ . وتأريخ منشور جواد في العشرين من شهر رمضان سنة سبع واربعين وسبعمائة (١٣٤٦ م)

وكان جواد كثير المخالطة مع الناس وفي وقت ضمانه ميناء بيروت كان يتحيل على الدنيا ولم (٩٥) ينل منها غرضهُ. مولدهُ نهار مستهل محرَّم سنة خمس وسبعمائة (١٤٠٦ م) ووفاتهُ رحمهُ الله تعالى العصر من نهار الثلثاء عاشر جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة (١٣٥٨م). واسماء اولادهِ ظهير الدين عليّ ولؤلؤة زوجة علاء الدين عليّ ابن زين الدين وزمرُّد زوجة شهاب الدين ابن زين الدين وأُمها من بني عزائم وتزوَّج عزّ الدين ثلاث نساء قمرًا من اقاربه ثمَّ توفيت فتزوَّج بعدها امّ ناهض الدين وهي بنت شجاع الدين عبد الرحمان بن حجي بن محمد بن حجي بن كرامة. وكان وفاتها في السابع من شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة (١٣٥١ م). ثمَّ تزوَّج بنت ابي الفضل بن سويدان من رمطون وعاشت بعد زوجها زمنًا طويلًا

ذكر اخيهما بهاء الدين داود ابن علم الدين سليمان

هو ثالث اولاد علم الدين. كان ذا كرم وشطارة يرمي النشَّاب مليحًا مقرًى بالصيد. وكان قد خالف سُنَّة البيت في الزواج لاقاربهم وبنات نسبائهم ذوي الاصول. فتزوَّج امرأةً مجهولة تسمَّى عزيزة من بنات الاتراك. وكانت صنعتها كحَّالة. اخبرني من لحق اياها قال: كان لها جارية مصريَّة تعقد القاف فكان الناس يضحكون من كلامها ويعجبهم سماعهُ

ذكر اخيهم ركن الدين محمد ابن علم الدين سليمان

هو رابع اولاد علم الدين. كان ذا لطافة في ذاتهِ ويُتقن صنعة النجارة والخراطة. ورأيتُ من خراطتهِ قصب اقلام رسم عملها لاخيهِ جواد وهي نهاية في الحسن واللطافة. وكان لهُ يدٌ في صناعة التطعيم وكتابة كيسة

واختهم ديمة بنت علم الدين كانت زوجة زين الدين ابن ناصر الدين الحسين الآتي ذكرهُ بعدهم وعمُّهم ونور الدين مجلي ابن سيف الدين غلَّاب. مولدهُ في العشر الاوَّل من شوَّال سنة تسعين وستمائة (١٢٩١ م)

(ستأتي البقيَّة)